فصلية علمية - محكمة نصف سنوية، دراسات حديثة في نهج البلاغة،
السنة الأولي، العدد الثاني (المتوالي ٢)، ربيع وصيف ١٣٩٧ش.
١٤٣٩ق. (٦٨-٥٩)

Biannual Journal *Current Studies in Nahj al- Balaghah.*

Vol. 1, No. 2, Spring & Summer 2018 (59-68)

مفهوم الفتنة من منظور نهج البلاغة

عباسعلي فراهتي[١]، ليلا زارعي شهامت[٢]
١. أستاذ مساعد في قسم الفقه ومبادئ الحقوق الإسلامية بجامعة كاشان، إيران. (a.farahati@gmail.com)
٢. طالبة الدكتوراه في فرع علوم ومعارف نهج البلاغة بجامعة كاشان، إيران. (الكاتبة المسؤولة) (laila.zarei90@gmail.com)
تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٤/١١ تأريخ القبول: ١٤٣٩/٦/٢١

Concept of Sedition from the Perspective of Nahj-ul-Balagha

Abasali Ferahati[1], Leyla Zareii Shahamat[2]
1. Assistant Professor, Department of Jurisprudence and the Foundation of Islamic Law, Kashan University (a.farahati@gmail.com)
2. Ph.D. Candidate in Nahj-ul-Balagha Studies, Kashan University (Corresponding Author) (laila.zarei90@gmail.com)
Received: 10/March/2018 Accepted: 31/December/2017

الملخص

تعتبر إثارة الفتن من المقولات الاجتماعية والسياسية التى تواجهها الحكومات الإسلامية والتى يمكن لها أن تنشأ فى ظروف اجتماعية وسياسية معيّنة. ولكى يتجاوز المسلمون الجوّ الذي امتزج فيه الحق والباطل وأصبح مضلِّلًا ومظلمًا، عليهم أن يعرفوا العوامل التى سبّبته، حتى يتمكّنوا من إنقاذ أنفسهم من عواقبه. وبما أنّ الفتنة يمكن أن تظهر فى جميع الأوقات، فإن هذه الدراسة ضرورية من أجل نشر التوعية بين الناس فى المجتمع. ويرتكز هذا البحث على النصوص الدينية، بما فيها القرآن ونهج البلاغة، فضلًا عن الكتب التأريخية للسنة والشيعة. وتسعى هذه المقالة إلى البحث فى مفهوم الفتنة وجوانبها بالاعتماد على المنهج التحليلى الوصفى، واكتشاف طرق مواجهتها والتخلص منها. وقد أظهرت نتائج البحث أن أهمّ خصائص مثيري الفتن تتمثل فى العودة إلى عصر الجاهلية وتقويض مبادئ الدين وأُسسه والشك والطغيان والاستبداد. وتتجلى أهمّ طرق التخلص من الفتن فى اتباع تعاليم القرآن الكريم والنبى (ص) وأهل بيته (ع) والتحلى بالبصيرة والوعى فى مواجهة مثيري الفتن وطاعة القائد وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الإمام على (ع)، نهج البلاغة، الفتنة، مثيرو الفتن.

Abstract

One of the political and social problems with which Islamic regimes are dealing is sedition which might appear under specific social, contextual, and political circumstances. In order for Muslims overcome a condition which has become dusty and misleading due truth and false mixed up, they should know its constituent factors so that they can save themselves from its consequences. Given that sedition can take place at all times, such a project appears to be essential in order to provide insight among people in the society. The findings of this study are based on the religious texts including the Qu'ran, Nahj-ul-Balagha, historical books, and interpretation of Shiite and Sunnite. This article seeks to investigate the conceptology of sedition, different aspects of sedition, and the strategy of coping with sedition using analytical-descriptive approach. The result of the study showed that the most important characteristics of the seditious are returning to the age of ignorance, undermining the religious principles and values, and suspicion and tyranny. Among the ways of getting rid of sedition are resorting to the Qu'ran, following the Prophet (PBUH) and his Household, providing vision among people as to sedition, and obeying the leader.

Keywords: Imam Ali (AS), Nahj-ul-Balagha, Sedition, Seditious.

المقدمة

تعتبر الفتنة من التيارات الناشئة فى المجتمعات الإسلامية. يحاول مثيرو الفتن أن يلبسوا الباطل لباس الحق ويتظاهروا بأنهم متدينون محبون للعدالة وأن يجعلوا التمييز بين الحق والباطل صعبًا، الأمر الذي يهدف بالطبع إلى تدمير الحكومة الدينية والعودة إلى قيم الجاهلية، ولكن يقصدون الجاهلية التى تتناسب مع الوقت الحاضر، مما يُعَبَّرُ عنها بالجاهلية الحديثة.

وللفتنة جذور تمتد بطول التأريخ إلى ما قبل الفترة التى أصبح فيها الإنسان اجتماعيًا، منذ أن خلق الله آدم وأمر إبليس بالسجود له، لكن إبليس تكبر وامتنع عن السجود، وهذه كانت بداية الفتنة. ويعتبر العلامة الطباطبائى فى كتابه تفسير الميزان أن أسباب امتناع إبليس عن السجود لآدم تتمثل فى التكبر والحسد والقياس واعتبار نفسه مستقلًا (طباطبائى،د. ت: ۲۹/ ۲۴-۸) يقول تعالى فى القرآن الكريم: «قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْض ولَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعينَ» (الحجر: ۳۹).

حدثت خلال فترة حياة النبى (ص) الكثير من الفتن على يد المشركين واليهود والمنافقين على شكل فرض عقوبات اجتماعية واقتصادية، وطرد المسلمين من مكة المكرمة، وزرع التفرقة بين المهاجرين والأنصار، وإحياء العداوة بين الأوس والخزرج، ومحاولة تقويض أسس إيمان المسلمين، والهجوم ضد النبى (ص) وشن ثلاث معارك فى بدر وأحد والخندق. وبعد رحيل النبى (ص) اغتصب الخلفاء الثلاثة الخلافة كل منهم بدوره ممهدين الطريق أمام المزيد من الانحرافات. وفى عهد الإمام على (ع)، شنّ مثيرو الفتن حروب الجمل، صفين والنهروان. إن أسباب الفتنة قد تكون داخلية أو خارجية، وفى مجتمعنا اليوم تنبع الفتن الداخلية عن الفتن الخارجية.

إشكالية البحث

يعجّ تأريخ صدر الإسلام، ولا سيما القرن الأول الهجري بالفتن التى أبعدت المجتمع الإسلامى عن الصراط الذي رسمه القرآن الكريم والنبى (ص) يشير الإمام على (ع) فى الخطبة الثانية من نهج البلاغة إلى الفتنة الأولى التى حدثت بعد رحيل النبى (ص) فى سقيفة بنى ساعدة فيقول: «هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِى، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ» (شهيدي، ۱۳۷۸: ۹) أنقذ النبى (ص) الناس من الجهل، أما أمير المؤمنين فيريد أن يعيد الحق إلى أهله: «الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ونُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ» لينقذ الناس مرة ثانية من الفتنة والجهل.

وبما أن الثورة الإسلامية مستوحاة من التعاليم العلوية مقتدية بحكومة الإمام على (ع)، يقول الإمام الخمينى (ره) فى تصريحاته: الحكومة الإسلامية هى حكومة إلهية ونحن على مسير الحكومة العلوية. وتهدف الثورة إلى الوصول للمجتمع النبوي والعلوي. وتتعرض المجتمعات أيضا للفتن فى أي وقت، وقد قدم الإمام على (ع) الكثير من التعاليم حول الفتن وطرق التغلب عليها، والتى يمكن أن تعالج العديد من المشاكل الخطيرة للمجتمع الإسلامى فى العصر الحاضر في مواجهة الفتن والمؤامرات.

أسئلة البحث

ما هو مفهوم الفتنة وما هى آثارها ونتائجها فى القرآن الفكر العلوي؟

ما هى طرق التغلب على الفتن فى الفكر العلوي؟

بما أن الحق والباطل يمتزجان فى الفتن، ولذلك يبدو أن الفتنة نوع الاختبار يتعرض له الأفراد لتمييز الحقيقة. ويمكن للفتنة تغيير الهيكل الفكري للمجتمع. ويمكن التغلب على الفتن بالإيمان والعقيدة والالتزام بالقانون والاتحاد والتضامن وطاعة القائد وتنوير الذهن العام وغيرها.

خلفية البحث

من بين البحوث التى أنجزت فى هذا المجال يمكننا الإشارة إلى مقالة "الشبكة الدلالية (Semantics) لمفردة الفتنة ومرادفاتها فى القرآن"، والتى طبعت عام ۱۳۹۴ بالتعاون مع خيريه عجرش ومرضية كهندل جهرمى فى مجلة الدراسات القرآنية، العدد ۲۴. وهناك بحوث أخرى مثل: مقالة "طرق مواجهة الفتنة فى الرسالة ۱۸ من نهج البلاغة" التى نشرت فى فروردين ۱۳۹۱ بواسطة سجاد فروزش فى مجلة مبلغان، العدد ۱۵۱، مقالة "مبادئ التربية السياسية فى الإسلام، فتنة عام ۱۳۸۸ مثالًا" بالتعاون مع داود مهدوي وعلى محمدي سيرت ونشرت عام ۲۰۱۵م في مجلة المعرفة السياسية،

العدد ١٣، ويذكر أنه نشر أكثر من ٥٠ عمل حول فتنة عام ١٣٨٨، كتاب "موجة الفتنة من حرب الجمل إلى الحرب الناعمة" تأليف أحمد حسين شريفى، ١٣٩٠، مطبوعات مركز فكر الشباب. كما تطرق بعض الشارحين إلى هذا الموضوع بشكل متفرق مثل ابن أبى الحديد، ترجمة نهج البلاغة وتفسيره لمحمد تقى جعفري ورسالة آية الله مكارم شيرازي وغيرهم. وعلى الرغم من البحوث التى أجريت فى هذا المجال، فإنّ ضرورة البحث والنتائج غير المطلوبة التى يمكن للفتن أن تسبّبها من جهة، وعدم التطرق إلى الموضوع من كافة أبعاده وبشكل شامل، دفع بالباحث إلى التطرق إلى موضوع الفتنة وطرق التغلب عليها. يشمل هذا البحث تعريف الفتنة لغة واصطلاحًا وعوامل ظهور الفتنة وخصائص الفتنة ومثيري الفتنة وطرق التغلب على الفتنة وتعامل الإمام علي (ع) مع مثيري الفتن.

١. تعريف الفتنة لغة

يقول الفراهيدي فى تعريف مفردة "فَتْن" الذي اشتقت منه كلمة "فتنة": الفتن: «إحراق الشيء بالنار كالورق الفتين أي المحترق» (الفراهيدي،١٤١٠ ق: ١٢٧/٨) أما الراغب الاصفهانى فيقول: «أصل الفَتْن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته» (الراغب الاصفهانى، ١٤٠۴ق: ١/ ٦٢٣) ويقول ابن منظور فى لسان العرب: «جِماعُ معنى الفِتْنة الابتلاء والامْتِحانُ والاختبار، وأَصلها مأْخوذ من قولك فتَنْتُ الفضة والذهب إذا ذوّبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيِّدِ» (ابن منظور، ١٤١٤: ١٣/ ٣١٧) ولكن وجهة نظره حول هذه الكلمة يبتعد عن المعنى اللغوي لها ويقترب من المعنى الاصطلاحى الذي سنشير إليه. ويبدو أن المعنى الذي قدّمه الفراهيدي حول هذه الكلمة أكثر صحة لأنه المعنى الأكثر رواجًا فى اللغة العربية، ومن هذا المنطلق فإنّ معنى "إحراق الشيء بالنار" هو المعنى اللغوي الدقيق لهذه الكلمة، وعلى الرغم من أنّ الراغب الاصفهانى وابن منظور أشارا إلى هذا المعنى، لكنهما اعتبرا تعريفهما أكثر مصداقية ولم يشيرا إلى مفهوم هذه الكلمة. واستخدمت الفتنة فى القرآن بالمعانى التالية: الشرك، الكفر، التضليل، القتل، الردع، الضلال، الاعتذار، القضاء، الذنب، المرض، العبرة، العقوبة، البلاء، العذاب، الحرق والجنون (السيوطى، ١٤٢٩: ١/ ٢٨٦)، لكننا لن نذكر الآيات تجنبًا للإطالة، وإلى جانب المعانى التي أشار إليها السيوطي سنتطرق إلى أقرب المعاني.

٢. الفتنة فى القرآن ونهج البلاغة اصطلاحًا

الفتنة فى القرآن ونهج البلاغة ذات معنى عام ومعنى خاص. فالمعنى العام يشير إلى الاختبار والمعنى الخاص يعنى الفوضى. والآن سنلقى نظرة على أمثلة قيّمة من هذين الكتابين. الفتنة فى القرآن تعنى الاختبار وقد أشير إليها فى كثير من الحالات. «وَاعْلَمُوا أَنَّما اَمْوالُكُمْ واَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وأَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظيمٌ» (الأنفال: ٢٨) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣٥٦/٢) المعنى الثانى للفتنة فى القرآن: «الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْل ...» (البقرة: ١٩١) الفتنة بمعنى الفوضى والإخلال بشؤون الدين (ابن عاشور،١٩٨٤ :٢/ ١٧٠).

وجاء فى نهج البلاغة حول الفتنة بمعنى الاختبار: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكمْ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بك مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ولَكنْ مَن اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّات الْفِتَن...» (الحكمة: ٩٣) (شهيدي،١٣٧٨: ٣٧٥) ويقول (ع) حول الفتنة بمعنى الفوضى: «أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَن بِسُفُن النَّجَاةِ، وعَرِّجُوا عَنْ طَرِيق الْمُنَافَرَة» (الخطبة: ١٣،٥).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يعتبر المال والبنون فتنة دائمًا؟ سنشير إلى حالات اعتبر فيها المال والبنون من النعم: «زُيِّنَ لِلنّاس حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ والْبَنينَ والْقَناطير الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْل الْمُسَوَّمَةِ والْأَنْعام والْحَرْثِ ذلِك مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا واللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» (آل عمران، ١٤) تعنى الفتنة فى هذه الآية «الْقَناطير الْمُقَنْطَرَةِ» المال الكثير (الطبري، ١٤٢٠: ٢٤٩/٦) وجميع هذه «الْقَناطيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْل الْمُسَوَّمَةِ والْأَنْعام والْحَرْثِ» مصاديق المال، فإذا استهدف الإنسان الدنيا فسوف يغفل عن الأهداف الأسمى مما يشكل عاملًا لانحطاطه. تنتقد هذه الآية التعلق بالحياة الدنيا بتعبيرها عن ذلك بعبارة «حُبُّ الشَّهَواتِ».

فى الآية ٤٦ من سورية الكهف، عبّر عن المال والبنين على أنهما زينة الحياة الدنيا: «الْمالُ والْبَنُونَ زينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا والْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّك ثَوابًا وخَيْرٌ أَمَلًا» تبين

هذه الآية الكريمة الركنين الأساسيين للحياة الدنيا، القوة الاقتصادية والقوة الإنسانية اللتان تلزمان لتحقيق أي هدف من الأهداف الدنيوية، (مكارم شيرازى،١٣٨٠: ١٢/ ٤٨٦).

جاء فى الآيات ١٢-١٠ من سورة نوح: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكم مِّدْرَارًا ويُمْدِدْكمْ بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ ويَجْعَل لَّكمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَل لَّكمْ أَنْهَارًا». فى هذه الآية الكريمة يعدهم الله بنعمة معنوية كبيرة وهى غفران الذنوب والتطهر من الكفر والعصيان، وخمس نعم مادية كبيرة وهى المطر والأموال والبنون والبساتين والأنهار. لو أن للمال والبنين قيمة سلبية لما وعد الله بهما.

وذكر فى بعض الآيات أن بعض الأنبياء طلبوا البنين من الله وبعضهم فرحوا كثيرًا لأن الله رزقهم بالبنين: «هُنالِك دَعا زَكرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْك ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّك سَميعُ الدُّعاءِ» (آل عمران: ٣٨) ويقصد زكريا بعبارة «ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» أن يرزقه الله ولدًا له كرامة مثل كرامة السيدة مريم (طباطبائى، د. ت: ١٤/١٠) «فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وما يَعْبُدُونَ مِن دُون اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ ويَعْقُوبَ وكُلًّا جَعَلْنا نَبِيًّا» (مريم، ٤٩) إنّ أولادًا مثل اسماعيل، اسحاق ويعقوب يعتبرون من نعم الله كثواب على تحمل النفى من الوطن والهجرة من بين المشركين.

نلاحظ أن القرآن الكريم لايشير إلى المال والبنين كفتنة فى كل حالة، بل يعتبرهما زينة فى بعض الآيات. إذن فإنّ القيمة الإيجابية أو السلبية لهما تتعلق بنية الإنسان ودوافعه، فإذا استخدم هذه النعم فى طريقه إلى الكمال فسوف تكون قيّمة إيجابية، لكن إذا استخدمها للتعلق بالدنيا وغفل عن الأهداف السامية، فسوف تصبح أسبابًا للفتنة وتكون ذات قيمة سلبية من الناحية الأخلاقية، لأنّ التعلق بالدنيا أمر مذموم وهو جذر لكل خطأ وذنب. إذن فإنّ أساس الفتنة فى كل من المعنيين هو التنعُّم والطغيان، وقد ينعم الله تعالى على عباده أحيانًا لكى يختبرهم، مما يمهد الطريق أمامهم لأجل الفتنة، ومثير الفتن فى المعنى الثانى هو الشخص الشخص الذي أدى طغيانه إلى الفوضى.

عوامل ظهور الفتنة

١. اتباع هوى النفس: يعتبر الإمام علي (ع) أن منشأ الفتنة يكمن فى اتباع هوى النفس ويقول: «بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ» (الخطبة: ٥٠)، لأن اتباع النفس الجامحة يجعل الإنسان غافلًا عن ذكر الله، وهنا يبدأ الانحراف عن الصرط المستقيم. وذكرت النصوص الدينية أن عدم التقيد بالتعاليم الإلهية يؤدي بالإنسان إلى الهلاك، وهو ينشأ عن عدم تشخيص الحق عن الباطل: «يَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا، ويَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجا» (الخطبة: ١٦٤) (شهيدي،١٣٧٨: ١٦٩).

٢. البدع فى الدين: البدعة فى الحقيقة استكمال للهوس، فالأشخاص الذين يفسرون الآيات والأحاديث على هواهم، يقومون فى الحقيقة بتبرير هوى النفس. وتنشأ البدع فى الدين من ناحية العلماء، وعادة ما تؤدي أخطاؤهم إلى انزلاق الكثير من الناس فى وادي الخطيئة. لقد أدت البدع فى صدر الإسلام إلى ارتكاب الكثير من الجنايات ضد أهل بيت النبى (ص): «كُلٌّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ بِدَمِهِ؟» (شيخ صدوق، ١٤٠٠: ٤٦٢) وقد لجأ عمر بن سعد إلى تشجيع جيشه لمحاربة الإمام الحسين وأنصاره بإطلاقه لشعار: «يا خيل الله اركبى وبالجنة أبشري» (بلاذري، ١٣٩٤: ١٨٤/٣).

٣. حب الدنيا: وهو من العوامل الأخرى التى تؤدي إلى ظهور الفتنة. يقول الإمام على (ع) فى هذا الشأن: ألا وإنّ حب الدنيا رأس كل خطيئة، وباب كل بلية، ومجمع كل فتنة، وداعية كل ريبة، الويل لمن جمع الدنيا وأورثها من لايحمده، وقدّم على من لايعذره (شعبة الحرانى، ١٤٢٣: ١٥٢) إنّ حب الدنيا الذي يشمل جمع الأموال والثروات يؤدي إلى الفتنة كما يقول الإمام على (ع) فى الخطبة ٨٢ من نهج البلاغة: «أَ أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَن اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، ومَن افْتَقَرَ فِيهَا حَزِن» (شهيدي، ١٣٧٨: ٦٠)، ويقول فى الحكمة ١٥٠ : «إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وفُتِنَ، وإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ» (م .ن: ٣٨٩) وكلامه هذا تصديق للآية الكريمة التى تقول: «إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى» (علق: ٧-٦) لقد كان العامل الرئيسى فى ظهور فتنة الجمل، حب الدنيا وطلب الثروة. وقد أدرك مالك الأشتر الصحابى البصير للإمام على (ع) هذه الحقيقة حول الخوارج وخاطبهم قائلًا: يا أصحاب

الجباه السود!.. كنا نظنُّ صلاتكم زهادةً في الدنيا، وشوقًا إلى لقاء الله، فلا أرى مرادكم إلا الدنيا!.. ألا قبحًا يا أصحاب النيب الجلاّلة، ما أنتم برائين بعدها عزًا أبدًا. فابعدوا كما بَعُد القوم الظالمون! (المنقري، ١٤٠٤: ٤٩١) ويبين الإمام على (ع) فى الخطبة المعروفة بالشقشقية فتنة الناكثين والقاسطين والمارقين بصراحة ويصفهم بأنهم يرون الدنيا جميلة قد سحرهم ذهبها البرق.

٤. الوصول إلى الحكم والمناصب الإدارية: يتوقع بعض الأفراد والأسر المتنفّذة في المجتمع من الهيئة الحاكمة بعض المزايا والمناصب والثروات، فإذا لم يحصلوا عليها نظرًا لأنها غير قانونية، يعمدون إلى تشكيل الأحزاب المعارضة ويسمون فعالياتهم النضال ضد الظلم، ولكن خلف مبادراتهم هذه تكمن خفايا كثيرة مثل الرئاسة والأنانية وحب الجاه والمال. وقد بيّن معاوية بعد سنوات من استشهاد الإمام على (ع) أن حربه ضد على وأنصاره لم تكن للدفاع عن الإسلام وم قدساته وقيمه، ولا لإحياء الصلاة والصيام والحج والزكاة، بل كان يسعى وراء الحكومة والرئاسة والخلافة (شيخ مفيد، ١٤١٣: ١٤/ ص٢) و(ابن أبى الحديد، ١٣٤٠: ١٦/ ٤٦) ومن علامات المنظمات والأحزاب المثيرة للفتن هى أنها تتأسس عادة بعد فشل فى الوصول إلى السلطة. يقول الإمام على (ع): «كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، ويَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لايَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، ولَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وعَمَّا قَلِيل يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! واللَّهِ لَئِنْ أَصَابوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، ولَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا و... » (الخطبة: ١٤٨).

إنّ طلحه وزبير كان كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، ويَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ (لأن كلًا منهما كان يريد الخلافة لنفسه ولم تكن محاربتهم للإمام لأجل الدين والإيمان كما كانا يدعيان بل حبًا بالدنيا والجاه)، لايَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، ولايَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ (ليس لدى أي منهما حجة أمام الله لإراقة الدماء لأن أيًا منهما لم يكن من أنصار الدين ولم يكن يؤمن بالله)، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وعَمَّا قَلِيل يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وعندما دخل البصرة مكرًا قبض على عثمان ابن حنيف وقتل الكثير من حراس بيت المال واختلفا على إمامة الصلاة حتى أصلحت عائشة بينهما واتفقا على أن يقوم كل واحد منهما بها يومًا وطلب كل منهما من عائشة أن يلقى الناس عليه التحية ويعرف بالإمارة فأمرت عائشة بإلقاء التحية على الاثنين وقبولهما للإمارة(فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٣/ ٤٥٣) وكثرت هذه الخلافات بينهما كثيرًا ولذلك يقول الإمام على (ع): أقسم لو أنهما بلغا ما يريدانه لقضى كل منهما على الآخر.

٥. عدم امتثال أوامر القائد: طاعة الأنبياء والقائد وأولى الأمر شيء واجب: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء: ٥٩) إنّ الأشخاص الذين يعصون قيادة المجتمع التى تستند إلى تعاليم الوحى والإمامة والولاية أو يميلون إلى التعاون مع مثيري الفتن، فسوف يسقطون فى نيران الفتن. ولذلك فقد أكد القرآن كثيرًا على هذا الأمر: «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِين» (البقرة: ١٩٣).

قادة الفتنة

يتضمن كلام الإمام على (ع) الحديث عن أركان الفتنة وهى:

١. فاعل الفتنة (مثير الفتنة): يعتبر الإمام على (ع) أن فاعل الفتنة هو الشيطان قائلًا:«إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، ويُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، ويُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ، واقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» (الخطبة:١٢١) يحذّر الإمام (ع) فى هذا القسم من تآمر الشيطان والمقصود بالعقدة هنا القوانين والأنظمة التى تؤدي إلى استقرار الدين (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٣/ ١١٨)، ويبين طرق نفوذه فى أنّ الشيطان يصوّر لنا طرق الانحراف سهلة حتى نبدأ بالسير على طريقه، ولهذا فهو يقوم بعمله خطوة خطوة حتى يحلّ الدين عقدة عقدة ويقضى على العقائد واحدة تلو الأخرى وبدلًا من التضامن والوحدة فهو يزرع الفتنة وينشر التفرقة. ولذلك يطلب الإمام على (ع) قبول النصيحة من الأشخاص الصالحين.

٢. قادة الفتنة: ويسميهم الإمام على (ع) «المنافقين» ويقول: «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، والزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا، ويَفْتَنُّونَ افْتِنَانا» (الخطبة: ١٩٤) بعد التوصية بالتقوى، يشير الإمام علي (ع) إلى صفات المنافقين وينصح بالابتعاد

عنهم لأنهم منحرفون عن الصراط المستقيم ويضلّلون غيرهم من الناس بجعلهم يشتبهون بين الحق والباطل، وتدل كلمة "تلون" على تغير أقوال وأفعال المنافقين بسبب سعيهم وراء لباطل والأغراض الفاسدة حيث يتعاملون مع كل شخص بتصرف مختلف ويحاولون دائمًا جرّ الآخرين إلى الفتنة.

٣. الخواص: وهم أصحاب المناصب وزعماء المجموعات الذين يفتخرون بحسبهم ونسبهم. يقول الإمام على (ع) فيهم: «أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَلَى حَسَبِهِمْ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ» (الخطبة: ١٩٢) وقد أشير إلى هذا الأمر فى القرآن الكريم حيث يرفض تعالى ذريعة الضالين الذين يلقون باللوم فى ضلالهم على أسيادهم: «وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا، رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ والْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» (الأحزاب: ٦٧) ويعتبر الإمام على (ع) أن سبب عدم جدارة هؤلاء بالطاعة يعود إلى تكبرهم وتفاخرهم ونسيانهم أنهم خلقوا من طين، ولو أنهم يدركون أصلهم ومن أية مادة خلقوا، لكانوا فى منتهى التواضع: «وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، ويَكُونُ غَدًا جِيفَةً» (الحكمة: ١٢٦) (شهيدي، ١٣٧٨: ٣٨٣).

٤. من وكّلهم الله على أنفسهم: وهؤلاء دائمًا ما يأتون بالبدع والفتن: «بإنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ، ودُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. ورَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ،عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا ولَيْسَ بِهِ...» (الخطبة: ١٧؛شهيدي، ١٣٧٨: ١٩) تتمثل الفئة الأولى فى الحكام المضللين والفئة الثانية فى القضاة الجهلة (مكارم شيرازي، ١٣٧٥: ١/ ٥٧١) ولذلك فإن معنى كلمة الحكم فى هذه الخطبة «يتصدى للحكم بين الأمّة وليس لذلك بأهل» فهذا مفهوم عام يشمل الحكم والقضاء.

وأشير إلى النساء والأولاد فى آيات القرآن وكلام الإمام على (ع) على أنهم أسباب للفتنة: «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، ولَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولَا مَالٌ يَلْفِتُهُ» (الخطبة :١٦٠) (فيض الإسلام،١٣٧٩: ٣/٥٠٩).

خصائص الفتنة

١. امتزاج الحق والباطل: فى الفتنة يمتزج الحق بالباطل ولا يعود وجه الباطل واضحًا، وهنا يتمكن مثيرو الفتن من تضليل أولئك الذين تنقصهم البصيرة. بديهى أن الأشخاص الذين يريدون إثارة الفتن بين المسلمين لايمكنهم مخالفة مبادئ الدين وقيمه بشكل مباشر وواضح، لأنهم سيلقون الهزيمة، ولهذا فهم يقدمون مزيجًا من الحق والباطل بشكل جذاب ومؤثر إلى الناس. ويعرف الإمام على (ع) فى نهاية حرب صفين الشبهة على النحو التالى: «وَ إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَق» (الخطبة: ٣٨) ويعتبر الإمام على (ع) أنّ أهمّ سمات الفتنة تتمثل فى الاشتباه بين الحق والباطل مشيرًا إلى ذلك أثناء بيعة الناس له على النحو التالى: «دَعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا، لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ، لاتَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، ولَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَت» (الخطبة: ٩٢) (شهيدي، ١٣٧٨: ٨٥) وفى الخطبة ٥٠ يقول: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنى» (طالقانى،١٣٧٤: ٥٢٥) لكن امتزاج الحق بالباطل لايمنع من معرفة الحقيقة ولذلك يتابع (ع) (ع) كلامه قائلًا بأن المؤمنين مصونون من الضلال ويقول فى الخطبة ٩٣: «نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ولَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ» نستنتج من هاتين الخطبتين أن المؤمنين هم قادة الصراط المستقيم.

٢. مخفية ومجهولة: بما أن مثيري الفتنة يعمدون إلى مزج الحق بالباطل، ولذلك تصعب معرفتهم فى البداية، ولكن عندما تزول الشبهات يظهر وجههم الحقيقى: «إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، ويُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ» (الخطبة: ٩٣) وعادة ما تبدو الفتنة فى أذهان الناس شبيهة بالحق، وبعد أن اجتازت مراحلها يدرك الناس أنها كانت فتنة، فهى لاتظهر كفتنة فى البداية بل تظهر شبيهة بالحق ويكون الدعاة لها كالدعاة إلى الحق والهدى، ولكن عندما تتغلل الفتنة بين الناس فسوف يدركون أنه لادخل لها بالحق وأنّ أولئك الدعاة إلى الحق كانوا في

الحقيقة دعاة إلى الباطل (ابن‌ميثم، د. ت: ٢/ ٣٩١) ولهذا يعجز الكثير من الناس العاديين عن إدراك هذا الأمر فيجهلون كيفية التعامل مع العدو.

٣. عدم شمولية الفتن: «يَحُمْنَ حَومَ الرياح، يُصِبْنَ بلدًا ويُخْطِئْنَ بلدًا» (الخطبة: ٩٣) (شهيدي، ١٣٧٨: ٨٦) عندما يدخل الأفراد فى دوامة الفتن يفقدون تركيزهم ويقظتهم فيعجزون عن الاستعانة بفكرهم بشكل صحيح. ولذلك فقد يتحركون فى اتجاه منحرف عن الهدف الرئيسى، ولو أخبرهم أحد ما من خارج الدوامة بأنهم يسلكون الاتجاه الخاطئ فلن يسمعوه ولو سمعوه فلن يتمكنوا من اتخاذ القرار الصحيح، وهذا هو جو الفتنة (شريفى،١٣٩٠: ٣٥) وكما يعانى المصأبون بالدوامة ويفقدون تركيزهم وسيطرتهم على أنفسهم، فالأمر كذلك بالنسبة للمفتونين حيث يفقدون السيطرة على حالهم فى الجو الذي أوجده مثيرو الفتنة.

٤. تضرر ذوي البصيرة: «عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا. أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا» (شهيدي، ١٣٧٨: ٨٦) بديهى أنّ أضرار الفتنة ستعمّ مختلف أنحاء المجتمع وربما تشير عبارة "عَمَّتْ خُطَّتُهَا" إلى هذا الأمر ذاته إلا أن شفرتها الحادة تصيب ذوي البصيرة ويبقى الغافلون واليقظون عديمو المسؤولية فى أمان منها: «عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا».

٥. تضرر مثيري الفتنة: فكما ذكرنا، فإنّ الفتنة تشبه الدوامة التى لايمكن لأحد السيطرة عليها حتى نفسها. عندما تعمّ الدوامة المجتمع فلن يتمكن حتى مثيروها من السيطرة عليها، ولذلك فهى تذهب بمصالحهم أيضًا، ولذلك يقول الإمام على (ع): «من شَبَّ نارَ الفتنةِ كان وَقودًا لها» (تيمى آمدي، ١٣٧٧: ٢/ ١١٢٦).

سمات مثيري الفتنة

١. العودة إلى عصر الجاهلية: إنّ الارتداد عن القيم الدينية والعودة إلى الجاهلية سمة بارزة من سمات مثيري الفتن ويمكن أن نسميها العودة إلى الجاهلية الأولى. يقول الإمام على (ع) مخاطبًا معاوية: «وَ أَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاس كَثِيرًا، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ وأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ ونَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ» (الرسالة: ٣٢؛ شهيدي، ١٣٧٨: ٣٠٩).

٢. **تقويض مبادئ الدين:** بعد إحيائهم لقيم الجاهلية، يقوم مثيرو الفتن بتقويض مبادئ الدين وقيمه العليا. يقول الإمام على (ع) فى الخطبة ٥١: «وَ تَثْلِمُ مَنَارَ الدِّين» وفى الخطبة ٥٠ : «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ...» (شهيدي، ١٣٧٨: ٤٤) ويبين (ع) فتنة الناكثين وحرب الجمل وتظاهرهم بالتدين قائلًا: «حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّين» (الخطبة: ٤).

٣. **التشكيك:** تؤدي الفتنة بالأذهان إلى الشك والتردد بمزجها للحق والباطل والتظاهر بالتدين مما يضعف جبهة الحق ويقوّي جبهة الفتنة. يعتبر الإمام على (ع) أن الفتنة: «تَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِين» (الخطبة: ١٥١) كما يعتبر أن الفتنة تقلل العلم والحكمة: «تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَة» ويقول كذلك: «خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وأُكْلَةٌ لِآكِلٍ وفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ» (الخطبة: ١٤؛شهيدي، ١٣٧٨: ١٦) وقد امتنع سليمان بن صرد عن نصرة الإمام الحسين بسبب تردده، لكنه ندم بعد استشهاد الإمام.

٤. الاستبداد والاستئثار: يعتبر الإمام على (ع) فى الخطبة ٣٠ أن سبب مقتل عثمان هو استبداده ويقول: «اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، ولِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ والْجَازِعِ» وعندما بدأ المسلمون بالاعتراض لم يصغ إليهم مما أثار الناس ضده وتخلى عنه المهاجرون والأنصار.

إنّ الخصائص التى ذكرناها للفتنة ومثيري الفتنة هى السمات العامة التى ترتبط بكافة العصور والأزمان ولا يمكننا أن نحصرها بعهد الإمام علي (ع)

تعامل الإمام على عليه السلام مع الفتن

١. اليقظة أمام العدو: يعتبر الإمام على (ع) أنّ أهمّ سماته فى مواجهة الفتنة هى اليقظة فى مواجهة العدو فيقول: «وَ اللَّهِ لاأَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا ويَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا» (الخطبة: ٦) (شهيدي، ١٣٧٨: ١٤) ويؤكد (ع) على ضرورة اليقظة أمام العدو وعدم الغفلة عنه، لأن لحظة غفلة قد تسبب الكثير من الأضرار: «مَنْ نَامَ

عَنْ عَدُوِّهِ أَنْبَهَتْهُ الْمَكَايِدُ» (خوانساري، ١٣٦٦: ٣٤٤/٥) وقال كذلك: «لا تأمن عدوًا وإن شكر» (خوانساري، ١٣٦٦: ٦/ ٢٦٨).

٢. الاستدلال: الأسلوب الثانى لمواجهة الفتن يتمثل فى الاستدلال والمنطق حيث يستند الإمام على (ع) بالآية الكريمة: «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ» (النحل: ١٢٦) مؤكدًا على أنه لايجب نسيان المنطق والاستدلال فى مواجهة العدو: «يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ ولَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِه، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وادَّعَى الْوَلِيجَةَ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ» (الخطبة:٨؛شهيدي، ١٣٧٨: ١٤).

٣. إفحام العدو: عندما سمع (ع) الخوارج يقولون «لا حكم إلا لله» قال: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لاحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. ولَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لاإِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ. وإِنَّهُ لابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أمير بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، ويَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، ويُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، ويُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءِ...» (الخطبة،٤٠) (م .ن:٣٩) لقد قبل الخوارج الآية الكريمة التى تقول « لاحكم الا للّه » من سورة يوسف، لكنهم يرفضون الآية التى تقول: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيث...» (يوسف: ١٠١) والتى نُصِبَ فيها حاكمًا، إذن يجب على الحاكم أن يكون مثل سيدنا سليمان وملكة سبأ وغيرهم من الذين يحكمون بالحق.

٤. اللجوء إلى القوة: يعتبر الإمام على (ع) أن الحل الأخير لمواجهة الفتن هو اللجوء إلى القوة حيث يستند إلى قول الله تعالى: «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لاتَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصيرٌ» (الأنفال: ٣٩) ويرى (ع) أن العدو لايستقيم بطريقة سلمية وأنّ استمراره يؤدي إلى الهلاك، فلا حلَّ سوى القضاء عليه: «فَإِنْ أبوا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ ونَاصِرًا لِلْحَقِّ» (الخطبة: ٢٢؛ شهيدي،١٣٧٨: ٢٣) .

طرق التغلب على الفتنة

١. الاستعانة بالقرآن: إذا تمكّن المرء فى بحبوحة الفتنة والمؤامرات من الاعتماد بشكل صحيح على القرآن، فسوف يكون قادرًا على تمييز الحق من الباطل. ويبين النبى (ص) كيفية تجاوز الفتن على النحو التالي: عن أمير المؤمنين (ع) قال: (ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الفتنة يوما، فقلنا: يا رسول الله، كيف الخلاص منها؟ فقال: بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بالهزل، ما تركه جبار إلا قصّم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل، وهو الحبل المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لاتلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء، ولا تنقضى عجائبه. (نورى طبرسى، ١٤١١: ٢٣٩/٤) فبالنظر والتدقيق فى مفهوم الآيات يمكننا فى هذا العصر تمييز الحق عن الباطل.

٢. اتباع أهل البيت: وهو ما أوصى به النبى (ص) قبل رحيله لأجل تجاوز الفتن حيث يخاطب عمارًا قائلًا: يا عمار ستكون بعدى فتنة فإذا كان ذلك فاتبع عليًا وحزبه فإنه مع الحق والحق معه. (خزار قمى، ١٤٠١: ١٢٢) ويعتبر الإمام على (ع) كذلك أن إحدى طرق تجاوز الفتن هى التمسك بأهل البيت: «قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ ونَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ، نَحْنُ الشِّعَارُ والْأَصْحَابُ والْخَزَنَةُ والأبوابُ، ولَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أبوابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أبوابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا منها، فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا...» (الخطبة:١٥٤) (شهيدي، ١٣٧٨: ١٥٣) ويقول فى الخطبة ٩٣: «نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ولَسْنَا فِيهَا بِدُعَاة» (م .ن: ٨٦).

٣. البصيرة والوعى أثناء الفتن: يقول الإمام على (ع) فى هذا الشأن: «كُن فِي الفِتنَةِ كابن اللَّبونِ؛ لاظَهرٌ فيُركَبُ ولا ضَرعُ فَيُحلَبُ» (الحكمة: ١؛شهيدي، ١٣٧٨: ٣٦٢) يقول ابن أبى الحديد فى شرح هذه العبارة: وابن اللبون لايكون قد كمل وقوي ظهره على أن يركب وليس بأنثى ذات ضرع فيحلب وهو مطرح لاينتفع به. وأيام الفتنة هى أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالَّين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك؛ فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق وسل السيف والنهى عن المنكر وبذل النفس في إعزاز الدين وإظهار الحق (ابن أبي الحديد،١٣٤١:

١٨/ ٨٢) ويتضمن كلام ابن أبي الحديد أنه لم يكن هناك حروب وفتن في عهد الإمام علي، بل ستحدث الفتنة عندما يضل الفريقان طريق الحق، وهذا الكلام يختلف عن تعريف الفتنة وسماتها، لكن كما أشرنا في بداية البحث فإن الفتنة تيار يشتبه فيه بين الحق والباطل مما يقود أفراد المجتمع إلى الخطأ، فإذا وقف الفريقان الضالان في مواجهة بعضهما البعض وتبينت الحقيقة فلن تحدث الفتنة. وهو لم يعتبر حوادث الجمل وصفين والنهروان من الفتن لأن الحقائق تبينت مع مرور الزمن، بينما لم يكن الحق والباطل بائنًا أنذاك ولم يكن المسلمون قادرين على التمييز بينهما، ولذلك كان مثيرو الفتنة يبينون الحقائق بما يخدم مصالحهم.

٤. طاعة القائد: وهي تدفع الفتن وكما يقول الإمام علي (ع) فإن عصيان القائد يودي إلى الندم والحسرة: «فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وتُعْقِبُ النَّدَامَةَ» (الخطبة:٣٥) ويقول كذلك: «فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، ولَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، واشْتَدَّ كَلَبُهَا (الخطبة: ٩٣؛شهيدي، ١٣٧٨: ٨٥) وتشير هذه الجملة إلى فتنة البصرة والناكثين، فلم يجرؤ الناس على محاربة أهل القبلة والمسلمين لأنهم كانوا يخشون ارتكاب الذنوب. ويبين (ع) هذا الأمر في خطبة أخرى بعبارات مشابهة فيقول: «انا الّذى فقات عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها غيرى وايم اللّه لو لم اكن فيكم لما قوتل اهل الجمل ولا اهل صفّين ولا أهل النّهروان» والمقصود «بفقأت عين الفتنة» هو «فقأت عين أهل الفتنة» (ابن ميثم، د. ت: ٢/ ٣٨٩).

٥. الاتحاد والتضامن: وهو من طرق مواجهة الفتن في المجتمع حيث يقول الإمام علي (ع): «وَ الْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ ولَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ» (الخطبة:١٢٧؛شهيدي، ١٣٧٨: ١٢٦) ويؤكد الإمام (ع) على قتل الأشخاص الذين يرفعون شعار التفرقة والانفصال ويحظر التعاون في عصيان الله: «ألا إنَّ الذُّلَّ فِي طاعَةِ اللَّهِ أقرَبُ إلَى العِزِّ مِنَ التَّعاوُنِ بِمَعصِيَةِ اللَّهِ» (شوشتري، ١٣٧٦: ٤/١٦٥) ويؤكد الإمام (ع) في حديث آخر على الحذر من التفرقة والتزام الخير والتقوى ويحظر التعاون على الشر والذنب والفتنة والفساد، أي أنه إذا كان الهدف هو مساعدة الناس فالاتحاد والتضامن ضروري لكن التعاون على تضييع حقوق الناس أمر محظور.

٦. اليقظة ونصر جبهة الحق: إن تنوير المجتمع وتوعيته إلى الحقيقة من قبل نخبة المجتمع هو من أهم طرق مواجهة الفتن والتغلب عليها حيث يصبح كل شيء واضحًا ويصبح من السهل التمييز بين الحق والباطل. يقول الإمام علي (ع) في الحكمة ٤٧٨: «مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا» (شهيدي، ١٣٧٨: ٤٤٦) ويقول فيما يتعلق بأهمية نصرة جبهة الحق: «وَ لَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا» (الخطبة: ٦؛ شهيدي، ١٣٧٨: ١٤).

الخاتمة

للفتنة في القرآن الكريم معان كثيرة، وأهمها هو الابتلاء والفوضى، وجذر كل منهما هو الطغيان والإفراط. الشيطان في مدار الفتنة ويهدف إلى تقويض مبادئ الدين والمعتقدات واحدًا تلو الآخر. أحد أهم أسباب الفتنة هو البدع واتباع هوى النفس، حيث يقوم مثيرو الفتن بتفسير الآيات والروايات على هواهم وهم يرتدون لباس العدالة. وتعتبر الفتن من أصعب التهديدات التي تواجه الدولة الإسلامية بسبب طبيعتها، حيث يمتزج الباطل بالحق ويصبح من الصعب جدًا التمييز بينهما. ويسعى مثيرو الفتن من خلال مزج الحق بالباطل إلى تضليل ذوي البصيرة. يعتبر الإمام علي (ع) أن الوعي والبصيرة من أهم طرق التخلص من الفتن والتغلب عليها ويقول الإمام (ع): واحْذَرُوا بَوَائِقَ اَلنِّقْمَةِ وتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ اَلْعِشْوَةِ واعْوِجَاجِ اَلْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وظُهُورِ كَمِينِهَا وانْتِصَابِ قُطْبِهَا ومَدَارِ رَحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ (الخطبة: ١٥١) ويعتبر في الرسالة ٣٢ أن الأفراد ذوي البصيرة يتحررون من الفتن. ويعمد مثيرو الفتن إلى تقويض مبادئ الدين والعودة إلى الجاهلية، فإذا قام خواص جبهة الحق بتوعية المجتمع فسوف تزول الشبهات ويفتضح أمر أهل الباطل، لأن رفع مستوى البصيرة في المجتمع يساعد على تمييز الحق من الباطل وتثبيط الحيل التي يلجأ إليها مثيرو

الفتن. وتعتبر طاعة القائد من أهم طرق التغلب على الفتن حيث يؤكد الإمام على (ع) على أن عصيان القائد يودي إلى الحسرة والندم. وتعتبر الآيات وكلام الإمام على (ع) الطريقة الأخيرة في دفع الفتن والنضال ضده.

المصادر

قرآن مجيد.

نهج البلاغة.

ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد (د. ت). *شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد.* مصحح: محمد أبوالفضل إبراهيم. قم: مكتبة آية الله مرعشي نجفي العامة.

ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤). *التحرير والتنوير.* تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس (۱۴۰۴). *معجم مقاييس اللغة.* تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر.

الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢). *مفردات في غريب القرآن،* دمشق: دار العلم الدار الشامية.

الطباطبايي، محمد حسين (د. ت). *الميزان في تفسير القرآن.* بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

بحراني، ميثم بن علي بن ميثم (١٣٦٢). *شرح نهج‌البلاغه.* نشر الكتاب.

بلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيي (١٣٩٤). *أنساب الأشراف.* تحقيق محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

تيمي آمدي، عبد الواحد (١٣٧٧). *ترجمة غرر الحكم ودرر الحكم (شيخ اسلامي)* مترجم سيد حسين شيخ اسلامي. قم: انصاريان.

حسيني خطيب، سيد عبد الزهراء (١٣٦٧). *مصادر نهج البلاغة وأسانيده.* بيروت: دار الزهراء.

خزاز القمي (١٤٠١). *كفاية الأثر.* تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه‌كمري الخوئي. قم: بيدار.

خوانساري، جمال الدين محمد (١٣٦٦). شرح *غرر الحكم ودرر الحكم (خوانساري)* مصحح سيد مير جلال الدين حسيني ارموي محدث، طهران: جامعة طهران.

زمخشري، محمود (١٤٠٧). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.* بيروت: دار إحياء التراث العربي

شريفي، احمد حسين (١٣٩٠). *موج الفتة من حرب الجمل إلى الحرب الافتراضية.* طهران: كانون انديشه جوان.

شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي (١٤٢٣). *تحف العقول عن آل الرسول.* قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الاعلمي. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

شوشتري، محمد تقي (١٣٧٦). *بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة.* طهران: أمير كبير.

شهيدي، سيد جعفر (١٣٧٨). *ترجمه نهج البلاغة.* طهران: الشركة العلمية الثقافية للنشر.

شيخ صدوق (١٤٠٠). *أمالي الصدوق.* بيروت: أعلمي.

---------. (١٤٠٤). *من لايحضره الفقيه.* قم: مجمع المدرسين.

شيخ مفيد، محمد بن نعمان (١٤١٣). *الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد.* قم: مؤتمر الشيخ مفيد.

طالقاني، محمود (١٣٧٤). *ضوء من نهج‌البلاغه.* مصحح: سيد محمد مهدي جعفري، طهران: مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإشاد الإسلامي.

طبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٤٢٠). *جامع البيان في تأويل القرآن.* المحقق: أحمد محمد شاكر، د. مكان: مؤسسة الرسالة.

فراهيدي، خليل بن احمد (١٤١٠). *ترتيب كتاب العين.* تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم سامرائي. تصحيح اسعد الطبيب. قم: مؤسسة الئوقف و الأمور الخيرية.

فيض الإسلام، سيد علي نقي (١٣٧٩). *ترجمة وشرح نهج‌البلاغه (فيض الإسلام)* طهران: مؤسسة الطباعة والنشر لتاليفات فيض الإسلام - انتشارات فقيه.

مكارم الشيرازي، ناصر (١٣٧٥). خطاب الإمام وشرح جديد شامل على *نهج‌البلاغة.* طهران: دار الكتب الإسلامية.

منقري، نصر بن مزاحم (١٤٠٤). *وقعة صفين.* تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية، أوفست قم، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامة.

نوري الطبرسي، الحاج ميرزا حسين (١٤١١). *مُستَدرَكُ الوَسائل ومُستَنبَطُ المَسائل.* بيروت:تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.

مفهوم فتنه از منظر نهج البلاغه

عباسعلی فراهتی*
لیلا زارعی شهامت**

چکیده
یکی از مقوله‌های سیاسی- اجتماعی که حکومت‌های اسلامی با آن دست به گریبان هستند مسأله فتنه و فتنه‌انگیزی است که در شرایط خاص محیطی و سیاسی- اجتماعی امکان بروز و ظهور می‌یابد. مسلمانان برای به سلامت گذشتن از فضایی که به سبب آمیخته شدن حق و باطل، غبارآلود و گم‌راه کننده شده است. باید عوامل به و جود آورنده‌ی آن را بشناسند تا بتوانند خود را از پیامدهای آن نجات دهند. با توجه به این که فتنه مربوط به همه‌ی زمان‌هاست به منظور ایجاد بصیرت در بین افراد جامعه انجام این پژوهش ضروری به نظر می‌رسد. یافته‌های این تحقیق مستند به متون دینی اعم از قرآن و نهج البلاغه و کتب تاریخی و تفسیری اهل سنت و شیعه است. این مقاله در پی آن است که با روش تحلیلی- توصیفی به بررسی مفهوم‌شناسی فتنه و جوانب آن پرداخته و راه‌های خروج از آن را بیان دارد. برآیند تحقیق حاکی از آن است که مهم‌ترین ویژگی‌های فتنه‌گران بازگشت به عصر جاهلیت، ضربه زدن به اصول و ارزش‌های دینی، شک و تردید و استبداد و خودکامگی است و راه‌های رهایی از فتنه رجوع به قرآن، پیروی از اهل بیت رسول (ص)، بصیرت و آگاهی در برابر فتنه‌گران، اطاعت از رهبر و .... است.

واژگان کلیدی: امام علی (ع)، نهج البلاغه، فتنه، فتنه‌گران.

* استادیار گروه فقه و مبانی حقوق اسلامی دانشگاه کاشان، ایران. (a.farahati@gmail.com)

** دانشجوی دکتری رشته علوم و معارف نهج البلاغه دانشگاه کاشان، ایران. (نویسنده مسئول) (laila.zarei90@gmail.com)